تقديم

لا يزال التصوف فى رأينا أكثر أقسام الفلسفة الإسلامية مثاراً للجدل بين الباحثين المعاصرين بل ومن المؤلفين الأقدمين من قبل ، على الرغم من أن مشروعيته لا جدال فيها بوصفه تحقيقا لروحانية دين الإسلام عقيدة وشريعة . ولا يعد رأينا هذا مصادرة على المطلوب فمن يقرأ مؤلفات الأقدمين من الفقهاء وغيرهم قبل مؤلفات الصوفية أنفسهم سيوقن أن التصوف يستمد أصالته من الإسلام ومصدريه الكبيرين القرآن والسنة . وهو بهذا الوصف يصح أن يكون أيضا هو العبادة المشروعة لله ظاهرا وباطنا بغير إهمال أو ترك للدنيا . وكما أمرنا الله إذ لا رهبانية فى الإسلام . وهو قبل ذلك ارتقاء الإنسان فى أعلى مستويات الإيقان بالتوحيد الخالص لله . ومن ثم يصح حينئذ أن يكون هذا التصوف هو الروحانية التى ينشدها الإسلام بغير إفراط ولا تفريط .

ومن المؤسف أن بعضا من الباحثين المعاصرين إن لم يكن أغلبهم يسودون صفحات طوال حاصلها فى النهاية أن التصوف خارج تماما عن الإسلام ، حتى استقر فى أذهان الكثيرين ، بفعل ما كتبوه وما نقلوه عن الأقدمين دونما قراءة كاملة لمن ينقلون عنهم أن مقالتهم هى الحق الصريح وما ثم إلا هو كما يهرفون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وليس من همنا هنا أن نشير إلى الإبانة عن خطل هذا الرأى لمن يكتبون فى التصوف بهذه الكيفية ، فقد كشفنا عن مواقف بعض الأقدمين

فى دراسات سابقة[1] ، ومن نفس المنطلق كشفنا عن مواقف بعض المصلحين المعاصرين بإزاء نفس القضية أيضا[2] .

وفى هذا السياق نقدم هذا السفر الروحى الذى يضم ثلاث دراسات يجمعها خط واحد هو تحديد التصوف الذى يلائم مشرب الإسلام عقيدة وشريعة ، وهو التصوف الذى يجعل الإنسان مشدود الوثاق إلى الملأ الأعلى وفى ذات الوقت يعمل ويكد فى حياته الدنيا ليحقق فيها أعلى مدارج التقدم ومن ثم فهو جامع بكلتا يديه بين الدنيا والآخرة . وهذا هو التصوف الذى يرتضيه الأقدمون ويقبله المصلحون المعاصرون ، ومن ثم تكتسب هذه الدراسات التى يضمها هذا السفر قيمتها وأهميتها وهى دراسات مترابطة كل واحدة منها تسلم إلى الأخرى تبدأ أولاها من الإمام محمد عبده (ت1905م) لتسلمنا إلى الثانية وهى دراسة الشيخ مصطفى عبدالرازق (ت1947م) ثم تسلمنا الدراستان معا إلى الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى (ت1994م) .

ولسوف يدرك القارئ الوشائج التى تربط بين هؤلاء الأعلام الثلاثة، والتى يمكن له من خلالها فى الآن نفسه أن يكشف ملامح التصوف الحقيقى الذى ننشده فى الإسلام ، ولعمرى لو تحقق شيئا منه فى

---

(1) انظر على سبيل المثال دراستنا بعنوان : الولاية بين الجيلانى وابت تيمية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة 1990 ، وأيضا دراستنا : فخر الدين الرازى والتصوف ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000.

(2) انظر كتابنا : الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1999.

نفوسنا لقضينا على كثير من القبائح الأخلاقية فى مجتمعنا الإسلامى المعاصر ولتفتحت قلوبنا على كل الفضائل والقيم الإسلامية الرفيعة ، ولأمكن لكل واحد منا نحن المسلمين أن نكون صورة ناصعة للمسلم فى أكمل أخلاقه ، إذ الدين فى جوهره خلق ، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) هو أكمل الخلق أخلاقا مصداقا لقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ، ولأدركنا قبل كل ذلك أيضا أن الروحانية التى يدعونا إليها الإسلام لا تصد الناس عن الدنيا ، وأن التصوف لا يمنعنا فى الوقت ذاته من بلوغ أرقى درجات التقدم فى حياتنا المادية ، فالجمع بين الروحانية والمادية معا خصيصة لدين الإسلام .

وبعد آمل أن يكون فى هذا الكتاب فائدة للباحثين فى مجال التصوف بصفة خاصة ولطلاب الثقافة الإسلامية بصفة عامة ، فإن تحقق المراد منه بحسب الهدف الذى عملت من أجله فالفضل لله وحده ، وإن لم يتحقق كل أتمناه فحسبى أنى عملت واجتهدت وما قصرت ، والكمال لله وحده ، وعلى الله قصد السبيل .

المنيا فى 2006/5/1

أ.د أحمد محمود الجزار .

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

عميد كلية الآداب – جامعة المنيا